فساد الفرينولوجيا

التقى الفيلسوف بول جنت الفرنسوي ببعض من اصدقائه وسألهُ عن نجاح مذهبهِ وكان هذا قد ذهب مذهبًا علميًّا جديدًا فقال "لا ارى لهُ نجاحًا" . فقال جنت "ولماذا" فأجاب "لانهُ لم يُقاوَم" . وهذا القول يصدق على كل المذاهب الدينية والفلسفية والعلمية فانها تتقوّى بالمقاومة ولكن المقاومة لا تقوّيها كلها على السواء بل تقوّي الصحيح وتلاشي الفاسد . والفرينولوجيا من جملة المذاهب التي تصدّى لمقاومتها كبار العلماء ومن مقاوميها الدكتور باركلي والسر تشارلس لَيل والسر وليم هملتون والفيلسوف توماس برَوْن واللورد فرنسيس جفري والسر بنيامين برودي والاستاذ ولسن وهم من اشهر الفلاسفة والاطباء والمشرّحين . ولم يهتموا بامرها هذا الاهتمام الاَّ لرواج بضاعتها بين العامة ولانهُ خشي من اضرارها بالهيئة الاجتماعية . فلم تقوَ على المقاومة بل تقلّص ظلها بعد ان استطال وأفل نجمها بعد ان بهر الابصار وكان لها في بريطانيا وحدها ٢٩ جمعية وعدد كثير من الجرائد فلم يبقَ لها الآن من الاتباع الاَّ القليل السير شان كل المذاهب المضمحلة

ومنذ ثلاث سنوات اقترح علينا بعضهم ان نفصل هذا المذهب وكنا قد درسناهُ في كتب سبرزهيم وفَوْلر من زعماء الفرينولوجيين وحُملنا على التصديق بهِ فرأينا انهُ يجب علينا قبل اجابة الاقتراح ان نطالع ايضًا ما كتبهُ فيهِ النقاد لكي نقابل بين القولين فنتكلم عن غير غرض فراجعنا ما كُتِب عنهُ في الانسكلوبيذيا البريطانية وانسكلوبيذيا تشمبرس وبوليه وغيرها من الكتب العلمية الحديثة فوجدنا الادلة على فسادهِ اقوى من الادلة على صحتهِ ووضعنا المقالين المدرجين في المجلد العاشر . فاعترض علينا بعض تلامذتنا النجباء واصدقائنا الاصفياء بالرسالة الحسنة الانسجام المهذّبة اللفظ والمعنى التي ادرجناها في الجزء الماضي من المنتطف . وقد وعدنا بالاجابة عليها في هذا الجزء دفعًا لما خامرهُ من الريب في فساد هذا المذهب وانجازًا لذلك نقول بالايجاز التام موجهين الخطاب اليهِ

اولاً ان الفرينولوجيين يعتمدون ما يرونهُ في ظاهر الجمجمة . والدكتور فولر نفسهُ زار مدينة بيروت منذ نيف وعشر سنوات وكان يتفحص رؤوس الناس ويخبر عن اخلاقهم وقواهم من مجرّد رؤية رؤوسهم . وقد نقلتم عنهُ انهُ قال "هيَّا بنا وأنا أُشير معك بعصابة فاضعها على عيني وافحص امامك ايَّا شئتهُ كما قد فحصت امام غيرك اناسًا كثيرين ولم اغلط في واحد منهم"

اي ان لمس ظاهر الجمجمة كان يكفيهِ للاستدلال على قوى الناس واخلاقهم . وقد ذكر في كتبهِ مرارًا كثيرة انهُ كان يستدل على قوى الناس واخلاقهم من مجرَّد رؤيتهِ عظم الجمجمة لا غير . وهذا يخالف قولكم ان الفرينولوجيين "يستخصون عن الاحوال والظروف والعوائد وما شاكل" . والحق انهم يعتمدون على الامرين ويصدقون احيانًا بالفراسة واحيانًا بالاتفاق ولا يروون عن انفسهم ولا يروي عنهم انصارهم الاَّ ما صدقوا بهِ . وهل تطلبون برهانًا على شيوع الاكاذيب وتصديق الناس بها وبغريكم قدبس الشريفات والجرائد التي نشرت اخبار عجائبو لم تزل بين ايدي الناس

ثانيًا ان ظاهر الجمجمة الذي يعتمد عليهِ الفرينولوجيون لا ينطبق على ظاهر الدماغ فقد تكون الجمجمة مرتفعة من ناحية والدماغ تحتها منخفض لسماك الجزء الاسفنجي من عظمها ويمكنكم ان تشاهدوا ذلك عيانًا او ان تتأكدوهُ من مجرَّد النظر الى عظم الجمجمة

ثالثًا ان قولنا ان تقسيم الدماغ الى ٣٥ او ٤٠ قسمًا لا يؤيدهُ شيء نريد بهِ ان هذا التقسيم اعتباطي لا يوافق ظاهر الدماغ ولا باطنهُ لاننا اذا رسمنا خطوطًا على ظاهر الجمجمة بحسب ما يقسمها الفرينولوجيون ثم رفعناها عن الدماغ لا نرى تلافيفهُ منطبقة على هذه الاقسام

رابعًا ان علماء هذا العصر قد عرفوا مراكز بعض القوى العقلية وحدَّدوها تمامًا بالامتحان الذي لا يدع بابًا للريب فاذا هي لا توافق المراكز التي عينها الفرينولوجيون . وهذا دليل ايجابي قاطع على ان تحديد الفرينولوجيين لمراكز هذه القوى كان خطأ . والعلماء الذين حدَّدوا هذه المراكز لا يدَّعون انهُ يمكن معرفة قوَّتها وضعفها من النظر الى ظاهر الجمجمة

خامسًا واخيرًا ان الفرينولوجيا لم تفد علم التشريح الاَّ في انها اضطرَّت المشرحين المقاومين لها الى زيادة البحث والتحري . والذين افادوا في تشريح الدماغ حقيقة هم المرفولوجيون لا الفرينولوجيون . وليس من غرضنا ان نتعقَّب بقيَّة ردِّكم فنكتفي بهذا القدر . ويا حبذا لو طالعتم مقالة الفرينولوجيا في الطبعة الاخيرة من الانسكلوبيذيا البريطانية فان فيها ادلَّة أُخرى على فساد الفرينولوجيا لا محل لها هنا

الفحم الحجري في الصين

يخشى اهالي اوربا ولا سيَّما الانكليز من نفاد الفحم الحجري من ارضهم ولهم في ذلك تعديلات كثيرة ذكرناها غير مرَّة ولكن اذا نفد الفحم من بلادهم لا ينفد من غيرها فقد قدَّروا ان الاراضي التي فيها فحم حجري في بلاد الصين تبلغ مساحتها اربع مئة الف ميل مربع وهي لا تزيد في بلاد الانكليز عن اثني عشر الف ميل